﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾

[مريم: 47]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا

لـمَّا هدَّد الأبُ ابنه الشفيق بالرَّجم والهجر، ردَّ عليه الابن مقابلًا ما كان من طيش الجهل بما يحقُّ لمثله من رزانة العلم، على سبيل الموادعة والمتاركة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿سَلَٰمٌ﴾: (سلم) أَصْلٌ يدل على الصِّحَّةِ والعافيَةِ؛ فالسَّلامَةُ: أَنْ يَسْلَمَ الإنْسانُ مِنَ العاهَةِ والأَذى، واللّه جَلَّ ثَناؤُهُ هوَ السَّلامُ؛ لِسَلامَتِه مِمَّا يَلْحَقُ المَخْلوقينَ مِنَ العَيْبِ والنَّقْصِ والفَناءِ[2]، وقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان: 63]، أي: نطلب منكم السّلامة[3]، والسّلام: التحية بمعنى السلامة، وسلّم عليه: قال له ذلك ودعا له به[4]، فيكون معنى ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ في الآية: تحيّة توديع ومتاركة[5].

2) ﴿حَفِيّٗا﴾: (حفي) ثَلاثَةُ أُصولٍ: المَنْعُ، واسْتِقْصاءُ السُّؤالِ، والحَفاء خِلافُ الانْتِعالِ، والمقصود هنا الأَصْلُ الثَّاني: فقَوْلُهُم حَفيتُ إلَيْه في الوَصيَّةِ بالغْتُ، وتَحَفَّيْتُ به: بالَغْتُ في إكْرامِه، وحَفيَ فُلانٌ بِفُلانٍ يَحْفَى به حَفاوَة إذا قامَ في حاجَتِه وأَحْسَن مَثْواه، وحَفا اللّه به حَفْوًا: أكرمه[6]، فمعنى الآية الكريمة: ثناءُ إبراهيم عليه السلام على ربّه بأنّه شديد البِرّ والإلطاف به[7].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 207.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلم).
(3) الراغب، المفردات: (سلم).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (سلم).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 121.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حفى).
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 122.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الهجر الجميل من إبراهيم الخليل

قال إبراهيم ﷺ لأبيه: سلام عليك منّي فلا ينالك منّي ما تكره، وسوف أدعو الله لك بالهداية والمغفرة؛ فإنّ ربي لم يزل لطيفًا بي مكرمًا لي لا يخيِّبُني فيما أدعوه فيه[1].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى سلوك طريق النبي الكريم إبراهيم ﷺ في الدعوة إلى الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي، وبخاصة أنَّ الله تعالى أمرنا باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته سلوك طريقه في البلاغ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّة فصل جملة ﴿قَالَ﴾:

طريقة القرآن في حكاية المحاورات

فُصل قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ عن الجملة السَّابقة جريًا به على طريقة حكاية المحاورات بجمل مفصولة، فهو استئناف مبنيٌّ على سؤال نشأ من صدر الكلام، كأنه قيل: (فماذا قال إبراهيم ﷺ عندما هدده أبوه بالرجم والهجر؟) فقيل: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾، وإنّما حُذف العاطف في أمثال هذا الأسلوب كراهةَ تكرير العاطف بتكرير أفعال القول؛ فإن المحاورة تقتضي الإعادة في الغالب، فطردوا الباب فحذفوا العاطف في الجميع، وهو كثير في التّنزيل، فلذلك فصلت جملة ﴿قَالَ﴾[3].

نكتة التنكير في لفظ ﴿سَلَٰمٌ﴾:

إعطاء إبراهيم ﷺ لأبيه الأمان العامّ

جاء في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ لفظ ﴿سَلَٰمٌ﴾ نكرة، والنُّكتة في تنكيره قصد العموم، أي عموم المسالمة من كلّ أذى،

(1) الجزائري، أيسر التفاسير: 3/ 313، ونخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 308.
(2) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 495.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 124.

فأعطى إبراهيمُ ﷺ لأبيه الأمان العام، فقال بأنّه لن يصيبه بمكروه، ولن يقول له بعدُ ما يؤذيه[1].

دلالة تقييد السّلام بـ﴿عَلَيۡكَۖ﴾ في الآية:

من الاستعلاء المكاني إلى الاستعلاء المجازي

تضمّن قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾ تقييد السّلام بـ﴿عَلَيۡكَۖ﴾ مبالغة في اللطف بوالده، والاهتمام بشأنه، إذ استعمل (على) التي تدلّ في أصل اللغة على الاستعلاء المكاني، ولكنّها استعملت هنا للدّلالة على الاستعلاء المجازي، وهو تمكن السّلامة والأمان[2].

علّة فصل جملة ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ﴾:

فصل الجملتين لكمال الانقطاع بينهما

جاءت جملة ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ مفصولة عن الجملة التي قبلها ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾؛ لوجود كمال الانقطاع بينهما، وهو اختلاف الجملتين اختلافًا تامًّا بحيث لا تكون بين الجملتين مناسبة في المعنى ولا ارتباط، بل كلٌّ منهما مستقلّ بنفسه[3]، فبعد إعطاء أبيه الأمان استأنف، فوعده بالاستغفار له في المستقبل.

دلالة السين والمضارع في الآية:

تكرار استغفاره لأبيه في المستقبل حرصًا على هدايته

جاء استعمال الفعل المضارع ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ﴾ متّصلا بحرف السّين الدَّالة على الاستقبال، فالتّعبير بالمضارع دون غيره من الأزمنة؛ لما يفيده المضارع من افتراض تكرر الحدث وتجدّده واستمراره[4]، وكذلك علامة الاستقبال (السّين) يؤذنان بأنّه ﷺ سيكرّر الاستغفار لأبيه في المستقبل ما لم يُنْهَ عن ذلك، وهذا ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: 114]، واستغفاره له هو المحكي في قوله تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦﴾ [الشعراء: 86][5].

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 12.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 121.
(3) القزويني، الإيضاح: 3/ 107.
(4) فاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 78.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 121.

بلاغة تقديم الجارّ والمجرور في الآية:

تخصيص الابن الشفيق أباه بالاستغفار

ورد تقديم الجار والمجرور ﴿لَكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾؛ لنكتة بلاغية وهي الاختصاص، فأئمَّة علم المعاني يجعلون التّخصيص لازمًا للتَّقديم[1]، بمعنى أنّ إبراهيم ﷺ وعد أباه بالاستغفار له خصوصًا، وفي هذا إظهار حرصه على هداه، وطلب المغفرة له من هذا الكفر، بأن يهديه الله إلى التّوحيد الخالص، فيغفر له الشّرك الماضي[2].

إيثار لفظ الربّ ونكتة الإضافة فيه:

توحيدُ الخليل ﷺ واعتزازه بربوبية الله له

ورد في قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ تعبير إبراهيم ﷺ عن الله بوصف الربوبية المضاف إلى ضمير المتكلم؛ للإشارة إلى انفراده عن أبيه وقومه بعبادة الله تعالى فهو ربّه وحده من بينهم، فالإضافة هنا تفيد معنى القصر الإضافي، مع ما تتضمنه الإضافة من الاعتزاز بربوبية الله إيَّاه والتشريف لنفسه بذلك[3].

علّة فصل جملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾:

فصل الجملتين لكمال الاتّصال بينهما

فُصلت الجملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ عن الجملة السَّابقة وهي قوله تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾؛ لوجود كمال الاتّصال بينهما، وهو اتّحاد الجملتين اتحادًا تامًّا وامتزاجًا معنويًّا، بحيث تنزّل الثانية من الأولى منزلة نفسها[4]، وذلك لأنّها وقعت تعليلًا لما يتضمنه الوعد بالاستغفار من رجاء المغفرة؛ استجابة لدعوة إبراهيم بأن يوفّق الله أبا إبراهيم للتّوحيد ونبذ الإشراك[5].

(1) السّكّاكي، مفتاح العلوم، ص: 233.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 121.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 121.
(4) القزويني، الإيضاح: 3/ 108.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 121.

نكتة تتابع المؤكّدات في الآية:

ثناء إبراهيم عليه السلام على ربّه الكريم

استُهلّ الخبر في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ بحرف التّوكيد وبفعل الكون للاهتمام بتحقيقه زيادة في ثناء إبراهيم عليه السلام على ربّه ﷻ، وحسن الظنّ به، وشكر نعم الله عليه، فيخبر إبراهيم عليه السلام بأنّ الله سبحانه للطفه به وإنعامه عليه عوّده الإجابة، فإذا هو استغفر لأبيه حصل المراد، فكأنه جعله بذلك على يقين إن هو تاب أن يحصل له الغفران[1].

سرّ تقديم الجارّ والمجرور في الآية:

اهتمام اللطيف سبحانه بنبيّه إبراهيم عليه السلام

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ تقديم الجارّ والمجرور ﴿بِى﴾ على خبر الكون ﴿حَفِيًّا﴾؛ لنكتة بلاغية وهي الاهتمام، فيثني إبراهيم عليه السلام على ربّه بأنّه ﷻ لطيف به بليغ في البِرّ والإكرام له، كما يفيد هذا التقديم رعاية الفواصل[2].

إيثار التّعبير بقوله ﴿حَفِيًّا﴾:

مبالغة الحفيّ في اللطف والإكرام

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ التّعبير بلفظ ﴿حَفِيًّا﴾، وقد جاء على وزن فعيل، وهو بمعنى فاعل مشتقًّا من حَفيَ به، مثل غَنيَ فهو غَنيٌّ، إذا أكثر السّؤال عن حاله تلطّفًا، ويقال أيضًا: أحفى فلان في المسألة بفلان؛ إذا لطف به وبالغ في الرِّفق، ومنه قوله تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟﴾ [محمد: 37] أي: وإن لطفت المسألة، والمراد أنّه سبحانه للطفه به وإنعامه عليه عوّده الإجابة، فإذا هو استغفر لأبيه حصل المراد، فكأنّه جعله بذلك على يقين إن هو تاب أن يحصل له الغفران[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحَفيُّ والبَرُّ:

يتّفق لفظا (الحفيّ) و(البَرّ) في الدلالة على الإحسان واللطف،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 547.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 419.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 21/ 547.

اختصاص (الحفيّ) بشدّة المبالغة في البِرّ والإلطاف

غير أنّ لفظ (الحفيّ) يزيد على لفظ (البَرّ) بالدلالة على شدّة المبالغة في البِرّ والإلطاف، فهو على وزن فعيل، وهو من أوزان المبالغة.

كما يظهر الفرق بينهما أنّ (البَرّ) من أسماء الله الحسنى بلا خلاف، فقد ورد اسم الله (البَرّ) في القرآن الكريم مرّة واحدة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: 28]، ومعنى (البَرّ) في حق الله ﷻ: اللّطيفُ بعباده، العَطوفُ عليهم، المحسِنُ إليهم، عمَّ ببِرِّه جميعَ خَلْقِه، فلم يبخَلْ عليهم برِزْقِه، وهو البَرُّ بأوليائِه؛ إذ خَصَّهم بولايتِه واصطفاهم لعبادتِه، وهو البَرُّ بالمحسِنِ في مُضاعفةِ الثَّوابِ له، والبَرُّ بالمُسيءِ في الصَّفحِ والتَّجاوُزِ عنه[1]، أمَّا (الحفيّ)؛ فقد خرج مخرج الإخبار عن الله ﷻ، وقد عدّه بعض العلماء من أسماء الله الحسنى، مع تردد في ذلك، لأنه إنمَّا ورد مقيَّدًا في قوله تعالى عن إبراهيم: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾[2].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 591، والخطابي، شأن الدعاء: 1/ 89.
(2) ابن العثيمين، القواعد المثلى، ص: 16.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»